

خطاب جلالة الملك في الجلسة الختامية الطارئة للجنة القدس

الحمد لله والصلاة والسلام على مولانا رسول الله وآله وصحبه

أخي وحبيبي السيد ياسر عرفات

أصحاب السعادة والمعالي

إنني أريد قبل كل شيء أن أضع بعض النقط على الحروف.

أولا أطلب منكم وبكل احترام حذف لفظ الشكر من القاموس المستعمل بيننا، لأن الشكر لا يكون إلا مع من هو أجنبي، أما أنتم كلكم ومن تمثلونهم من شعوب فتوجدون في رحاب وطنكم وبين ظهران مواطينكم.

النقطة الثانية : أرجو منكم أن ترفعوا إلى حكوماتكم وشعوبكم وجيرانكم في المنطقة الذين هم أعضاء في المؤتمر الاسلامي، هذه الرسالة، وهي رسالة قصيرة جدا ولأنها في الوقت نفسه رسالة حيوية بالنسبة لما نجتازه، كنت في سنة 1955، بالضبط في المنفى، ووقع بالنسبة للدول النامية ودول العالم الثالث حدث من أهم الأحداث، ألا وهو اجتماع مؤتمر باندونغ، ومن جملة الشعارات التي خرجت من ذلك المؤتمر، سمعنا اسماً لم يكن موجوداً في القاموس آنذاك، وهو اسم نيوكولونياليسم.

كما تعلمون لست صاحب شعارات، ولكن أريد أن أقول : إننا نحن الدول الإسلامية أمام(نيوكولونياليسم) جديد، ذلك أنه إذا نحن رأينا جميع الدول المكونة لمنظمتنا الإسلامية، لا نجد دولة من هذه الدول قد فلتت من أيادي الإستعمار، إما لمدة طويلة، وإما لمدة متوسطة أو قصيرة، ولكن هذه الدول انتفضت وأبرزت كرامتها بتضحياتها المتوالية، وبعد ذلك تمكنا أن يكون لنا علم، وأن تكون لنا حدود، وأن تكون لنا هوية، وأن تكون لنا كرامة، ولكن يا ترى بماذا أنقذنا الأعلام والحدود والهوية والسيادة إذا نحن فقدنا الكرامة، فقدان الكرامة له تعبير، وأكبر وأخطر تعبير عن فقدان الكرامة هو عدم المصداقية الذي يأتي بعدم الإحترام، وعدم الإحترام يؤدي إلى النيوكولونياليسم أو الإستعمار المقنع، فنحن في منظمتنا الإسلامية نمثل ملياراً من سكان المعمور، فهل نحن مستعدون أن نظهر هذا المليار بمظهر اللاكرامة أعني بمظهر من اللامصداقية.

كتب عاقل من عقلاء هذا القرن هذه الجملة، فقال : «إن الشعوب لا تموت بالفقر بل تموت بالذل»، الذل مرة أخرى على مستوى الدول والأنظمة والسيادات هو عدم المصداقية، فلهذا طلبت منكم من هذه المنصة التي نحن جالسون عليها ونقتسم جميعاً مسؤولياتها، فالرئاسة هنا ليست إلا رئاسة إدارية، فأنا واحد منكم، وأنتم أجزاء مني، لذا طلبت منكم أن تبلغوا هذه الرسالة الخاصة الخطيرة إلى دولكم، وإلى شعوبكم وإلى من يجاوركم في المعمور، وينتمي في آن واحد إلى أسرتنا الإسلامية.

إنني أؤكد مرة أخرى، أنه كفى، ثم كفى، مما يقاسيه العرب في المنطقة، هل نريد أن نزيد في الطين بلة، وأن نجعل شعوب المسلمين تتقاطر بالحياء والخجل، فأنا لا أدعو إلى حرب صليبية، ولا إلى حرب دينية، لأنني أعرف خطورة هذه المعارك، وأعلم أن الحروب السياسية تنقضي يوما ما حول منصة المفاوضات، ولكن الحروب العقائدية تبقى راسخة في الأذهان جارية في الشرايين عالقة بعشرات من الأجيال.

وهذا النداء أوجهه إلى أولئك الذين يريدون بتعسفاتهم أن يرجعوا بنا إلى القرون الوسطى، وأن يدفعونا إلى أن نركب مطية التهور ونسلك طريق الفتن، وأقول لهم حذار ثم حذار، الفتنة نائمة، لعن الله موقظها.

ولكن لا أريد أن أختم كلمتي هذه على نبرات متشائمة، فأنا وأعوذ بالله من قول أنا، وأظن هذا هو شأنكم جميعا فنحن متفائلون، لأنه بدون تفاؤل لا يمكن لأي رجل سياسي أن يقوم بأي عمل إيجابي، ولعل أكبر دليل على هذا التفاؤل هو الأعمال التي قام بها مؤتمر وزراء خارجيتنا في الأسبوع الماضي بفاس، والاجماع والحيوية اللذان لقيتهما شخصيا ولمستهما أثناء عملنا البارحة واليوم في إطار لجنة القدس، فلنكن إذن متشبثين مؤمنين حذرين يقظين حتى لا تضيع منا المصداقية، تلك المصداقية التي هي مسؤولية كل بشر وبالأخص كل دولة تحترم نفسها.

وقبل أن أختتم هذه الجلسة أريد باسمكم جميعاً وبصفتي رئيساً للمؤتمر الإسلامي، أن أرحب بعضوية نيجيريا التي التحقت بأسرتنا، وأرجو من معالي الأمين العام أن ينظر إلى ملف المسطرة، حتى يرى كيف يمكن إذا هي أرادت أن تصبح عضوا في لجنة القدس، لا أعرف كيف هي المسطرة ولكن أرجو منكم معالي الأمين العام أن تقوموا بالمساعي اللازمة إذا ما اقتضى نظر نيجيريا أن تنضم إلى حظيرة هذه اللجنة.

ثانيا : اتفقنا البارحة لكي نعطي دليلاً على مصداقيتنا وعلى جديتنا، وباقتراح من الأخ السيد ياسر عرفات أن نحدد موعداً للإجتماع في هذه السنة حتى نرى ما طبق كيف طبق، وما لم يطبق لماذا لم يطبق؟ وجاء في قراراتنا أننا سنجتمع في أبريل إن شاء الله في بلدكم هذا، لننظر في حصيلة أعمالنا ونتيجة مساعينا.

وبما أنني طلبت منكم حذف لفظ الشكر من القاموس فلن أقول لكم مرحبا بكم، فلي اليقين أن الله سبحانه وتعالى الذي يرى ما في قلوبنا والذي يرى ما تعانيه أمته المسلمة من محن ومن امتحانات، الذي سيخرجنا من هذه المحنة، لأنه سبحانه أرانا مرات جلاله وما بخل علينا بجماله.

علينا أن نكون في مستوى جماله، أليس هو القائل سبحانه وتعالى : «وكان حقاً علينا نصر المومنين»، صدق الله العظيم والسلام عليكم ورحمة الله.

الأربعاء 11 جمادى الأولى 1406 — 22 يناير 1986